مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ELWAHAT Journal for Research and Studies
Available online at :https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2
631 – 615 :(2024) 1 المجلد 17 العدد ISSN : 1112- 7163 E-ISSN: 2588-1892

الحرب في أوكرانيا وأثرها على مستقبل روسيا الأمني والجيوبوليتيكي

The War in Ukraine and its Impact on Russia's Security and Geopolitical Future

نور الإيمان قلاتي [1] ، جديد خميس [2]

1- جامعة عنابة(الجزائر)، كلية الحقوق، مخبر التنمية المستدامة والحكم الراشد في جنوب المتوسط، nour-elimen.guellati@univ-annaba.org

2- جامعة عنابة(الجزائر)، كلية الحقوق، مخبر التنمية المستدامة والحكم الراشد في جنوب المتوسط، djedidkhamiss@yahoo.fr

تاريخ الاستلام:25-10-2023 تاريخ القبول:26-01-2024 تاريخ النشر:06-06-2024

ملخص:

تعد الجغرافيا السياسية المرآة العاكسة لسياسة الوحدات الدولية، حيث تفرض عليها توجهات وقرارات خارجية رشيدة وأخرى غير عقلانية. وتعد العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا من أسمى نماذج تأثير الفكر الجيوبوليتيكي على أذهان وتصورات صناع القرار، فنجد دولة روسيا الاتحادية تبحث عن استعادة امتدادها الطبيعي وارثها المسلوب، و تدافع عن أمنها القومي ومتنفسها نحو المياه الدافئة من جهة. ونجد من جهة أخرى دولة أوكرانيا تبحث عن السبيل الذي يُفضي إلى حماية حدودها أمام المأزق الذي فرضته عليها جغرافيتها كونها أضحت ساحة للتنافس وتصادم مصالح القوى الكبرى ونقطة ارتكاز لأمن روسيا القومي وورقة ضغط في يد التحالف الغربي. على هذا الأساس ارتأينا أن نسلط الضوء على الحرب في أوكرانيا من منظور جيوبوليتيكي ونطرح تصورات وسيناريوهات محتملة حول المنطقة بصفة عامة ومستقبل روسيا الاتحادية بصفة خاصة.

كلمات دالة: الجيوسياسية , روسيا الاتحادية , أوكرانيا , الحرب , الأمن , الدفاع

المؤلف المرسل: نور الإيمان قلاتي : elimen.guellati@univ-annaba.org

Abstract-

Political geography is the mirror that reflects the policy of international units, as rational and irrational external orientations and decisions are imposed on it. The Russian-Ukrainian war is one of the highest examples of the impact of geopolitical thought on the minds and perceptions of decision-makers. We find the federal state of Russia looking to restore its natural extension and its usurped heritage, and defend its national security and its outlet towards warm waters on the one hand. On the other hand, we find the state of Ukraine looking for a way to protect its borders in the face of the impasse imposed on it by its geography, as it has become an arena for competition and collision of the interests of the major powers, a focal point for Russia's national security, and a pressure card in the hands of the Western alliance. On this basis, we decided to shed light on the war in Ukraine from a geopolitical perspective and put forward possible perceptions and scenarios about the region in general and the future of the Russian Federation in particular.

Keywords: geopolitics; United Russia; Ukraine; the war; security; defense

مقدمة

لم تكن روسيا يوما دولة قانعة بما فرضته عليها جغرافيتها، بل فُتنت منذ القـــدم بالتوســـع والامتداد الجيوسياسي، فكل مرة كانت تخطو نحو المناطق المجاورة لها ومن ثم إلى مناطق أخرى أكثر بعدا وعمقا، محاولة في ذلك إشباع جموحها الأزلي بالوصول إلى المياه الدافئة والتحرر من عقدة الجليد من جهة، وإلى إعادة إحياء دورها العالمي وتاريخها الامبراطوري من جهة أخرى. بالإضافة إلى التخلص من هاجس التهديد الأمني، ذلك عبر ضم أكبر قدر ممكن من الـــدول والقوميات التي كانت تابعة للاتحاد السوفياتي سابقا، ومنع أي رغبة غربيـــة بالوصـــول إلى مشارف حدودها القومية. ولعل أوكرانيا تعد المسعى والهدف الذي لطالما وضـــعت روســـيا أنظارها عليه وتعتبرها جزءا لا يتجزأ من جغرافيتها وانتمائها القيمي والعرقي، بيد أن الواقـــع يقول عكس ذلك فمطالبة الرئيس الأوكراني بالانضمام إلى حلف الناتو يعد رفضا صريحا عن توجهه شرقا ونفوره من مختلف الصلات التي تربطه بموسكو، مما أدى إلى تضـــارب المصـــالح

وتصاعد التوترات بين الطرفين وصلت إلى حد استخدام القوة العسكرية، الأمر الذي قادنا إلى عدة تساؤلات لعل أهمها يتمثل في الاشكالية التالية:

إلى أي مدى تؤثر الحرب في أوكرانيا على أمن روسيا القومي ومستقبلها الجيوبوليتيكي؟

للإجابة على الإشكالية نقترح الفرضية التالية:

تعكس الأهمية الجيوسياسية والجيو–أمنية لدولة أوكرانيا في مدركات روسيا الاتحادية سعيها المستميت بالحفاظ عليها ككيان مستقر ومستقل عن الغرب.

1– جيوبوليتيك دولة روسيا الاتحادية

1.1 من المنظور الجغرافي:

تتمركز دولة روسيا في شمال شرق قارة آسيا وتمتد على أكبر مساحة في العالم تقدر ب17 مليون كيلومتر مربع، أي على طول عشرة آلاف كيلومتر من الشرق إلى الغرب من شواطئ بحر البلطيق حتى المحيط الهادي ومن المحيط المتجمد الشمالي شمالا نحو الحدود مع منغوليا الشعبية جنوبا. تتاخم روسيا 16 دولة، يحدها من الجنوب الشرقي كل من المحيط الهندي وكوريا والصين ومنغوليا، أما من الغرب والجنوب الغربي نجد كل من النرويج وفنلندا وما جاورها من جمهوريتي استونيا وليتوانيا وبيلاروسيا وأوكرانيا وجورجيا وأذربيجان وكازاخستان على التوالي. (clairet و alescis boutzmann، 2011) يبلغ طول الحدود الروسية من مختلف النواحي حوالي 37.653 كيلومتر (محفوظ، 2018، صفحة 28)، ما جعلها تحتل موقعا قاريا استراتيجيا أضفى عليها جانب من القوة والضعف في آن واحد. فمن منطلق القوة أكسبها هذا المقوم الجغرافي هامش من المناورة والوقت والتريث في اتخاذ القرارات والتفوق على العدو كيف لا ! وهي تمتاز بسلاسل جبلية شامخة وتضاريس وعرة، ناهيك عن شساعة المساحة والظروف المناخية القاسية التي تكبد العناء لأي عدو مهاجم يرغب ببسط نفوذه والسيطرة عليها. فرغم التطور التكنولوجي الذي أُلحق بالصناعة العسكرية لايزال العمق الجغرافي لروسيا يعزز من فرص انتصارها في الحروب لعل أبرز ما حققته من نصر تاريخي، الهزيمة الكبرى التي ألحقت بنابليون عام 1810 وبهتلر عام 1941 (مجدان، صفحة 48)

أما من منطلق الضعف يمكننا القول أن المساحة الشاسعة لروسيا وأراضيها المترامية الأطراف، ضف إلى ذلك النقص الكبير في عدد السكان وعجزها عن سد المناطق النائية والمهجورة قد أثقلت عاتق المسؤولين السياسيين والأمنيين في اتخاذ القرارات والبرامج اللازمة

لتأمين هذه الحدود والمقاطعات. كما أفرزت حملا آخرا على اقتصاد الدولة من خلال ضرورة توفير الإمكانيات اللازمة لضمان التواصل والاتصال والتنمية بين مختلف أقطارها، لهذا نجد الوحدة القرارية الروسية في هاجس أمني دائم وتخوف من أي تهديد، وتسعى باستمرار للملمة الجوار وإحاطة نفسها بالحلفاء للتخفيف من حدة هذه الضغوطات الأمنية التي فرضتها عليها جغرافيتها

2.1 من المنظور الإقتصادي:

تتربع روسيا على ثروات طبيعية ضخمة تحتل بها المرتبة السابعة عالميا من حيث احتياطي النفط بقيمة وصلت إلى 80 مليار برميل لعام 2023 (سعيد، 2023) .بالإضافة إلى احتياطاتها المكتشفة حديثا في القطب الشمالي والتي تصل إلى 7.3 مليار طن.(احتياطيات روسيا من النفط في القطب الشمالي تصل الى 7.3 مليار طن، 2023)، في مقابل ذلك تعد روسيا أول مصدر وثاني أكبر احتياطي ومنتج للغاز الطبيعي بقيمة وصلت إلى 701.7 مليار متر مكعب خلال تقرير عام 2021. (اكبر دول منتجة للغاز الطبيعي في العالم ، 2022). كما تمتلك 29 مصفاة بقدرة إنتاجية تزيد عن تسع ملايين برميل يوميا، ضف إلى ذلك المعادن الثمينة كالذهب المقدر احتياطه عام 2022 ب158 مليون طن، والنحاس بمقدار 1.3 مليون طن والزنك بمقدار 2.4 مليون طن والرصاص بمقدار مليون طن ناهيك عن الفضة والفحم والوقود. (المرجع نفسه)

كما لا ننسى بالذكر الثروة الزراعية والنباتية المقدرة ب220 مليون هكتار، واحتوائها على 120 ألف نهر أهمها نهر الفولغا ونهر لينا، و2 مليون بحيرة عذبة ومالحة أهمها بحيرة بايكال كأكبر وأعمق بحيرة في العالم بطول 636 كيلومتر. كل هذا وغيره جعل من روسيا أيقونة القارة الآسيوية ومركز ثقلها ومحطة أنظار ومتابعة من القوى الكبرى الأخرى.

2– أهمية أوكرانيا من المنظور الأمني والجيوبوليتيكي لروسيا

تقع أوكرانيا في الفناء الغربي لروسيا وتعد نافذتها المطلة بها على البحر الأسود الذي لطالما شكل بعدا جيوسياسيا هاما في العقيدة الأمنية والعسكرية للبحرية الروسية كونه يحتضن القاعدة البحرية الأساسية لأسطولها الشمالي في سيباستوبل (كليبنيكوف، 2014، صفحة 71). كما أن الملاحظ والمتتبع لسياسة بوتين يجده متأثرا بتوجهات بطرس الأكبر ويحاول المشي على خطاه ويجسد معظم وصاياه التي قدمها في سبيل الوصول بروسيا كقوة برية وبحرية عظمى. ولعل من أهم هذه الوصايا هي إبقاء السيطرة على البحر الأسود والعمل على إعادة دمج

واستمالة أوكرانيا نحو الشرق ومنع التوسع الغربي قبالها. (مقراوي، وصايا بطـــرس الأكـــبر، 2015)

كما وتعتبر أوكرانيا أهم جمهوريات الاتحاد السوفيتي منذ تأسيسه عام 1922 وحتى انهياره عام 1991.وكانت روسيا حريصة دائما، على بقاء أوكرانيا ضمن المنظومة الروسية، باعتبارهـــا وريثة الاتحاد السوفيتي، فظلت تتحين الفرص للهيمنة عليها حتى تهيأت لها عام 2014، حينما اندلعت احتجاجات في المدن الأوكرانية، تطالـــب بعـــزل الـــرئيس الأوكـــراني "فيكتـــور يانوكوفيتش" الموالي لموسكو، فقامت القوات الروسية باحتلال مواقع استراتيجية في شبه جزيرة القرم وضمتها إليها عام 2014، وبعد استفتاء في القرم على تقرير المصير صوتَ سكّان الإقليم لصالح الانضمام لروسيا.

بالعودة إلى جيوستراتيجية موقع أوكرانيا كما هو موضح في الخريطة أدناه نجدها تتمركز في جنوب شرق أوروبا يحدها من الشرق والشمال دولة بيلاروسيا وروسيا علـــى طـــول 220 كيلومتر، ومن الغرب كل من بولندا وسلوفاكيا والمجر ورومانيا ومولدوفا، وتطل جنوبا على البحر الأسود. تصل مساحتها إلى 603.628 كيلومتر مربع، (حفيظة، طالب، 2022، صفحة 79)ما يجعلها ثاني أكبر دولة مساحة في المنطقة بعد روسيا الاتحادية. تزخر بالخيرات والثروات الطبيعية من نفط وغاز قدرت قيمة احتياطاتها بناءا على موقع وزارة الطاقة الأوكرانية ب255 مليون برميل من النفط وما يقارب1.1 تريليون متر مكعب من الغاز. وعليه صنفت كييف في المرتبة الثانية اقليميا من حيث قيمة ثرواتها وثقلها الاقتصادي.

كما تحتفظ أوكرانيا بربع الانتاج الزراعي العالمي من قمح وخضر ولحوم ضـــف إلى ذلـــك احتوائها على40 بالمئة من خام المنغنيز وأكبر احتياطي من الحديد والصلب والأوزوكريت في العالم. وأكبر مخزون من الغرافيت في القارة الآسيوية. (أبوزيد، 2014، صفحة 10) كما تجدر الإشارة بأن كييف قد ورثت حصة ضخمة عسكريا من الاتحاد السوفياتي تصل نحو الثلث من ترسانة الأسلحة النووية مقسمة إلى 1810 مؤسسة صناعية_ عسكرية، وما يقارب7200 نظام مدفعي (المرجع نفسه، صفحة 80).

وعليه من المنظور الأمني الروسي تعتبر أوكرانيا بمثابة الحصن الاستراتيجي الذي يعزل روسيا عن معظم التهديدات الأمنية ويعمل على تحييدها والتقليل من خطورتها. كما تمثـــل الـــدائرة الأمنية الأولى والخارج القريب في عقيدتها الأمنية ومبدؤها الثابت الذي لا يمكن التنازل عنه.

هي كذلك تشكل حلقة فصل بين القوتين الشرقية المتمثلة في روسيا والقوة الغربية المتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها، بعبارة أخرى ترى روسيا في أوكرانيا عمقها الأمني الاستراتيجي وصمام الأمان وصفارة الانذار للمد الغربي خاصة في ظل انضمام وتحالف الدول الأخرى المجاورة لها مع حلف الناتو لتبقى أوكرانيا هي المتنفس الوحيد لموسكو حاليا.

كما تنظر لها على أنها مسألة أمن قومي لقربها من البحر الأسود، الذي يتواجد فيه كذلك الأسطول الأمريكي وعدد من الأساطيل الأوروبية، وهوما تعتبره روسيا تهديداً لأمنها واستقرارها، فتعزيزا لما سبق والاشارة إليه يعتبر البحر الأسود بالنسبة لروسيا ممراً مائياً يصل روسيا عبر مضيق البوسفور الذي تسيطر عليه تركيا وبالبحر الأبيض المتوسط. لذلك تسعى روسيا لمنع استخدام أوكرانيا كورقة ضغط عليها، تدفعها لتقديم تنازلات في بعض الملفات الدولية، لصالح السياسية الأمريكية والغربية، والقبول بمقايضة أوكرانيا ببعض الملفات الهامة في مناطق أخرى من العالم. (النزاع الروسي الأوكراني.. جذور الصراع وتداعيات الأزمة، 2022)

من المنظور الجيوبوليتيكي فإن روسيا دون أوكرانيا لا تُشكل امبراطورية أوراسية قوية ولا تستطيع حتى أن تتابع السعي لتكون كذلك. (زبيغنو،بريجنسكي، 1999، صفحة 46) فعلى غرار كونها امتداد لأمنها القومي هي أيضا تمثل امتدادا طبيعيا للصناعة والزراعة الروسية ومحطة عبور لأنابيب غازها الطبيعي ورافعة اقتصادية لبُناها التحتية. بالإضافة إلى امتدادها الأمني وانتمائها الأيديولوجي والثقافي والديني. بناءا على هذه المدركات تسعى روسيا دائما لإعادة كسبها واسترجاعها كجزء منها ليس فقط كحليف استراتيجي في المنطقة. فمنذ تولي الرئيس بوتين سدة الحكم عرفت الوحدة القرارية الروسية اهتماما متزايدا بكل ما هو جغرافي- سياسي وتؤكد على أن الجيوبوليتيك يفوق أهمية خصائص البناء السياسي والثقافي والأيديولوجي والديني للدولة؛ إذ ينظر إليها كعوامل ثانوية بالمقارنة مع مبدأ علاقة الدولة بالمكان. ومن الطبيعي جدا أن تنظر روسيا لمقومات قوتها وترسم سياستها العامة الأمنية انطلاقا من هذا التصور فأولا وأخيرا هدفها الذي لطالما ألحت عليه هو إعادة تجميع الامبراطورية. (الكسندر،دوغين، 2004، صفحة 212)

3- كرونولوجيا العلاقات الروسية- الأوكرانية

عقب سقوط الاتحاد السوفياتي توجهت كل دولة بسياستها المستقلة عن الأخرى وقننت سيادتها على حدودها وأقاليمها الطبيعية. منذ ذلك الحين ظلت العلاقات التاريخية والروابط الثقافية والاجتماعية والاقتصادية تشكل حجر الأساس للعلاقة بين كل من موسكو وكييف، رغم إيمان روسيا بأن أوكرانيا جزء من الوطن الأم والتقليدي، كونها كانت قديما تمثل العاصمة الثقافية وثاني أقوى جمهورية في حلف وارسو. حافظ الطرفين على علاقاتهما في إطار اتفاقيات ثنائية تجسدت منذ ديسمبر1994. كما تبادلا التعاون الدائم في مختلف المجالات، وبلغ حجم تبادلهما التجاري ذروته خلال عام 2011 بقيمة 50 مليار دولار. (هابي، 2022، صفحة 28)؛ غير أن بداية عام2003 قد حمل معه أول أزمة دبلوماسية بين البلدين حين اقترح الرئيس فلاديمير بوتين بناء سد في مضيق "كريتش" باتجاه جزيرة "كوسا توسلا" الأوكرانية، الأمر الذي اعتبرته كييف تعدٍ صارخ على حدودها ومحاولة من روسيا لإعادة ترسيم جغرافيتها من جديد. وعليه يمكن القول أن المرحلة الأولى من العلاقات غير المتوازنة قد بدأت منذ عام 2003 واستمرت لغاية 2010.

أما المرحلة الثانية بين عام 2010-2013 قد تميزت بالتقارب الثنائي الحذر خلال فترة حكم الرئيس "يانكوفيتش"، ثم سرعان ما تصاعد التوتر حين أعلن "فيكتور" في نوفمبر2013 تعليق استعداد بلاده توقيع اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي حينها بدأت الاحتجاجات الشعبية الداخلية مطالبة بإسقاط حكمه، وتم بالفعل انهاء صلاحياته في22 فيفري2014.

أما المرحلة الثالثة "ما بعد ثورة فيفري2014" إثر قيام الانتفاضة الشعبية في أوكرانيا طالب المتظاهرون المقيمون بكل من إقليم "دونستيك" و"لوغانسك" وغيرها بالاعتراف باللغة الروسية واصلاح الدستور الأوكراني بما يُخوّل لهم حقوق وحريات واسعة. أمام هذا المطلب اتخذت أوكرانيا خطوة أخرى مغايرة نحو الغرب وعمدت على ترشيح نفسها كعضو في الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو وهذا ما يستحضر لنا التصور الذي طرحه المفكر الاستراتيجي الروسي الكسندر دوغين سابقا، حيث تنبأ بأن أوكرانيا دولة سرعان ما ستنقسم يوما ما إلى كيانين جيوسياسيين منفصلين؛ كيان شرقي متحالف مع روسيا وكيان غربي متطلع دائما للتحالف مع الغرب. (دوغين، مرجع سابق)

إن التقارب الأوكراني– الغربي يُمثل تهديدا لروسيا ليس فقط على الصعيد الأمني والجغرافي إنما على الصعيد السياسي والاقتصادي والثقافي؛ فهو يقيد من توجهات سياساتها الخارجية ويعوّض مكانتها الاقتصادية والطاقوية خاصة لدى الدول الأوروبية المفتقرة للثروات الطبيعية. كما يؤدي إلى دمج الثقافة الغربية مع الشعوب الأوكرانية والروسية القاطنة هناك الأمر الذي من شأنه أن يؤثر على قناعاتهم ومعتقداتهم وتصوراتهم المطلقة حول تاريخ روسيا العريق. وعليه كان لزاما على روسيا اتخاذ سلوك دفاعي استباقي يهدف إلى التصدي لتوسع حلف الناتو، وتجسّد ذلك بإعلانها الحرب على كييف خلال عام 2014 لاسترجاع ما وصفته بحقها الموروث المتمثل في شبه جزيرة القرم وضمها رسميا للاتحاد الروسي بموجب رسالة رسمية من قبل حاكمها. منذ ذلك الحين اعتبرت الحكومة الأوكرانية الكرملين كعدو إمبريالي يسعى للسيطرة عليها، وأقرت بأن الغرب حليف دائم وداعم لها خاصة خلال فترة حكم "بيترو بوروشينكو" المعروف بعدائه الشديد لروسيا.

4– الحرب الروسية على أوكرانيا 2022: الدوافع والمسارات

لم تتوقف رغبة روسيا في استعادة مجالها الحيوي عند ضم القرم فقط، إنما لا تزال تسعى لمد نفوذها تجاه أبعد حدودها السوفياتية وبما يضمن مكانتها كقطب دولي منافس للولايات المتحدة الأمريكية. تأسيسا على ذلك فإن محور اهتمام روسيا بدولة أوكرانيا مبني على الصراع من أجل دحض أي احتمال لانضمامها إلى حلف الناتو.

انطلاقا من نهاية عام2021 حين انتقدت روسيا مناورة عسكرية للناتو أُطلق عليها اسم""Todd،defender-europe-21)، 2021). وشملت حوالي 26 دولة من أوروبا الوسطى والشرقية بما في ذلك أوكرانيا، حيث صرح وزير الدفاع "أليكسي آرستوفيتش" بأن أوكرانيا تتدرب وتتجهز لسيناريو محتمل لنزاع مسلح مع روسيا.

حذر الكرملين بدوره بأن أي نية لتوسع الناتو عسكريا في أوكرانيا يعد تجاوزا للخطوط الحمراء في عقيدتها الأمنية والدفاعية، ووصفت إرساء الحلف للسفن الحربية الأمريكية في البحر الأسود خلال شهر نوفمبر2021 على أنه تهديدا للأمن الاقليمي والاستقرار الاستراتيجي في المنطقة. رداً على ذلك نقل الدفاع الروسي قواته العسكرية على طول الحدود مع بيلاروسيا وجزيرة القرم وصل خلالها تعدادهم نحو 147,800 جندي بما في ذلك طائرات مقاتلة و48 منظومة صواريخ و 1700 دبابة. (أحمد، هشان، 2022، صفحة 05) .ندد الرئيس زيلنسكي

بهذا الحشد العسكري الحدودي الأكبر في التاريخ منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحث أعضاء الناتو على الاسراع في قبول طلب العضوية وحماية أوكرانيا.

سارعت كييف هي الأخرى في حشد قواتها مع الحدود الروسية، ومن جهة أخرى وقع الرئيس الأوكراني على استراتيجية الأمن القومي الجديدة التي نصت على ضرورة توسيع الشراكة مع الناتو. كما سبق له أن وقع في 24 مارس 2021 على المرسوم رقم 117/ 2021 الذي نص بالموافقة على استراتيجية إعادة دمج جمهورية القرم المتمتعة بالحكم الذاتي واسترجاع مدينة سيفاستوبل. (الحرب بين أوكرانيا وروسيا.. ملخص تاريخي يوضح كيف تفاقمت الأزمة، 2022)

واصلت أوكرانيا نشر جيشها في منطقة دونباس متحدية في ذلك جل التهديدات الصادرة من الكرملين، فقامت بتعبئة حوالي125000 جندي (المرجع نفسه)، ناهيك عن الطائرات والدبابات العسكرية. في مقابل ذلك ظلت روسيا تدعو الغرب إلى رفض اقتراح كييف بالانضمام إلى المعسكر الغربي، وكان قد قدم فلاديمير بوتين للرئيس الأمريكي بايدن معاهدتين وُصفتا بالضمانات الأمنية لعل أهم ما ورد فيها هي: (مكي،لقاء، 2022)

* منع أوكرانيا من تصنيع السلاح النووي.
* ضرورة تجريد أوكرانيا من ترسانتها العسكرية النووية الموروثة.
* منع أية محاولة خارجية لتزويد أوكرانيا بالأسلحة الهجومية.
* عدم قبول أي احتمال يخول لأوكرانيا الانضمام لحلف الناتو.

جاء الرد سريعا برفض هذه المقترحات، لِيليها مباشرة تلويح زيلنسكي بإمكانية تخليه عن المعاهدة التي تحد من تطوير وتحديث الصناعة العسكرية.

عقب تزايد إلحاح الرئيس الأوكراني لنيل العضوية بالناتو وإثر عدم التزامه باتفاقية "مينسك2" التي وقعها ممثلو الحكومة الأوكرانية والانفصاليون ممثلو دولة روسيا .بمشاركة منظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE) والتي تُفضي بسحب وتراجع القوات الروسية والأوكرانية من الحدود مع إقامة منطقة عازلة، باشرت موسكو عمليتها العسكرية تحديدا في 24 فيفري 2022 انطلاقا من الحدود الشمالية والجنوبية. وفي سياق بداية الحرب انتهز بوتين فرصة لدعم الانفصاليين في شرق أوكرانيا واعترف بالحكم الذاتي للجمهوريتين من إقليم دونباس هما "لوغانسك" و"دونيتسك" لتليهما كل من جمهورية "زاباروجيا" و"خيرسون".

إن الدوافع الحديثة التي سبق ذكرها بالإضافة إلى الدوافع التقليدية المتمثلة في كون أوكرانيا امتدادا للأمن القومي الروسي وضرورة كبح التوسع الغربي شرقا وسعي موسكو لاجتثاث النازية المتنامية في كييف الحاملة للحقد التاريخي تجاه روسيا والتي ظهرت بصورة واضحة أثناء معارضة كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوكرانيا على القرار الذي يدين تمجيد النازية خلال التصويت الذي نظمتهم الأمم المتحدة، كلها دفعت بروسيا إلى اتخاذ قرار الحرب على أوكرانيا ذلك بعد أن مررت جل البدائل المتاحة لتفاديه واعطاء مدة أطول للكييف وللغرب من أجل التراجع عن قراراتهم وانصاف الأقلية الروسية.

دون الخوض في حيثيات الحرب التي لا تزال تفرض نفسها على الواقع الأمني للمنطقة دعونا نلقي نظرة بعيدة على مسار الاستراتيجية الروسية الحربية ومنهجية زحفها داخل الأرض المستهدفة؛ إذ تتبع خارطة منظمة انطلقت من السيطرة على الجمهوريتين المنفصلتين وبالتالي إقليم دونباس، ثم على مدينة ماريبول الساحلية في الجنوب الشرقي وخاركيف في الشمال الشرقي ليتم انشاء خط عمودي بين المدينتين تفصل من خلاله إقليم دونباس بالكامل عن أوكرانيا والمعروف بثقله الاقتصادي وزخمه بالثروات الطبيعية (مكي، مرجع سايق). ناهيك عن قيامها بهجومات واسعة على شمال العاصمة الأوكرانية بدعم من دولة بيلاروسيا.

نظير ذلك لم يتوانى الدفاع العسكري الأوكراني في اطلاق الصواريخ وخوض غمار الحرب، حيث أطاح بالعديد من الصواريخ الروسية حتى اعتقد العديد من المحللين أن روسيا سوف تخرج مهزومة في غضون أشهر والخلل الكامن في منظومتها الدفاعية بات واضحا؛ إلا أن التصريح من قبل وزير الخارجية الروسي "سيرفي لافروف" أنفى ذلك وأكد أن روسيا لا تريد الحاق الضرر بأوكرانيا وكل هذا ما هو إلا أقصى ضغط ممكن لثني الحكومة الأوكرانية على التحالف مع الغرب.

لا تزال كييف لحد الساعة تخوض حربا مضادة وهجينة وتبحث عن سبل أخرى للحصول على الدعم والتعاون على غرار الدعم الغربي الذي بات باردا مؤخرا، فقد بادر زيلينسكي بالتقرب إلى مختلف الدول وكسب تأييدهم أو حتى حيادهم تجاه القضية، حيث شارك في القمة العربية بدعوة من "الملك السعودي سلمان"، واستغل الفرصة لطرح حججه وبدائله واستطاع تلقي الحياد والدعوة إلى الحوار من قبل الدول العربية. ومن ثم نجده لأول مرة في المغرب لإبرام الاتفاقيات العسكرية والبحث عن الحلول السلمية. كما شارك في قمة زعماء مجموعة السبع

المقامة في اليابان وكسب تأييدهم والتزامهم التام بدعم أوكرانيا تجاه الهجوم العسكري الروسي غير المشروع.

ولابد لنا والإشارة إلى أن خطوات حلف الأطلسي كطرف دولي غير مباشر لا ترمي إلى الدفاع عن أوكرانيا بل إلى تفكيك الجيش الروسي بعد إضعافه، وتفكيك وحدة الأراضي الروسية بغية السيطرة على الطاقة والثروات فيها، ومنع روسيا من استثمار ثرواتها في أبعادها الجيوبوليتيكية أو الاستفادة من الطرق البحرية في المنطقة، إضافةً إلى تغيير تموضع روسيا من قوة في وجه الغطرسة الغربية إلى مؤيد ومنفّذ لها، ومن ثم عرقلة المشروع الروسي الصيني المشترك حول إتمام مشاريع التنمية المشتركة بين بكين وموسكو في إطار مبادرة الطريق والحزام.

وما يجري الآن هو قبضة غربية أطلسية على أوكرانيا تمتد وصولاً إلى فنلندا والسويد، والهدف منها تطويق روسيا واحتوائها.

5– مستقبل روسيا الأمني والجيوبوليتيكي

يدرس الجيوبوليتيك العلاقة بين الأرض والسلوك السياسي والتفاعلات بين الوحدات والمناطق الجغرافية على مستوى العلاقات الدولية، وكذلك أثرها على علاقاتها وسياساتها الاقتصادية، الأمنية، الثقافية والاجتماعية وغيرها. انطلاقا من هذه المسلمة يمكن القول بأن الحرب الروسية على أوكرانيا ولو أنها لم تضع أوزارها بعد غير أنها رسمت **معالم وقراءات لوضع روسيا على عدة أصعدة، نظير تدخل القوى الاقليمية والدولية بوسائل ضغط تحمل في طياتها أهدافا معلنة تتمثل في الدفاع عن أوكرانيا والدعوة إلى ضرورة وقف الهجمات العسكرية الروسية ضد الأوكرانيين، وأخرى ضمنية تشمل الرغبة في تطويق روسيا وكسر سيطرتها على سوق الطاقة الأوروبي**. فبعد مرور عام وأكثر على بداية الحرب توسعت وتعمقت العقوبات الاقتصادية المفروضة على روسيا لتشمل غرائم جديدة تمثلت في استبعاد سبع بنوك روسية من شبكة سويفت العالمية. كما أعلنت بريطانيا عن تجميد أموال الشركات الروسية وفصلها عن النظام المالي البريطاني والأمريكي. (البصراتي، 2022، صفحة 169)

كذلك قد مُنع على روسيا الطيران والتحليق فوق الأجواء الأوروبية، وتوقف ترخيص بريطانيا لاستيراد وتصدير سلعها خاصة منها مواد التصنيع العسكري وتكرير النفط، ومنعت

الولايات المتحدة الأمريكية دخول السلع والمواد الغذائية الروسية. والأهم من ذلك قامت ألمانيا بوقف تصريح تشغيل "خط نورد ستريم2" المسؤول عن تصدير الغاز لأوروبا وهذا ما يعد ضربا في الاقتصاد الروسي الريعي الذي يعتمد على عائدات الطاقة بنسبة تفوق 40 بالمئة. ضف على ذلك الخلل الذي أصاب أنابيب الغاز الروسية إثر تعرضهم للقذائف الأوكرانية رغم نفيها التام لهذا الاتهام الموجه لها من قبل موسكو. (أوكرانيا تنفي ضلوعها في تفجير خطي" نورد ستريم"، 2023)

كما أعقبت هذه العقوبات والتوترات تحولات جيوسياسية كبرى في المنطقة أفضت إلى اتخاذ الكرملين قرار قطع إمدادات الغاز على أوروبا ليواجه هذا الأخير جائحة الشتاء البارد والتقشف الطاقوي ويبدأ رحلة البحث عن البديل الذي لا محال سيتعرض للضغط من قبل روسيا، ناهيك عن ارتفاع أسعارها رغم ضعف جودتها. وما زاد الأمر سوءا هو غلاء أسعار المواد الأولية والغذائية، وتراجع تدفق أموال المستثمرين في البنوك خوفا من الأزمات الاقتصادية ما أدى ببعض الدول النامية إلى إعلان أزمة غذاء وحدوث التضخم.

وبالرغم من إعلان روسيا امتلاكها لصندوق الحرب الذي يحتوي على قيمة كبرى من الذهب والدولارات الأمريكية تصل إلى 23 بالمئة من الاحتياطي العالمي، وصلت قيمتها إلى 630 مليار دولار خلال عام 2021؛ إلا أن سرعة ونطاق الأزمة المستمر في التوسع وطبيعة العقوبات وأهدافها المتباينة بين الفترة والأخرى قد تجعل الوحدة القرارية الروسية تفقد التوازن في تنفيذ تدابيرها الوقائية بنظام وبرشادة.

جغرافيا يسعنا القول بأن روسيا استطاعت تحقيق توسّع بارز عبر تمددها نحو الحدود الأوكرانية خاصة بعد إعلان استقلال الجمهوريتين سالفتا الذكر وسيطرتها على بعض المدن الأخرى. وترى في ذلك كل الأحقية والمشروعية أمام مبدأ الدفاع عن امتدادها الطبيعي وحدود أمنها القومي وخارجها القريب. وعليه فإن **سيناريو** نجاح موسكو في السيطرة والاستيلاء على أوكرانيا بشعبها وثرواتها وبالتالي فك ارتباطها بحلف الشمال الأطلسي مرشح بنسبة كبيرة. وأن إعادة رسم روسيا لحدودها البرية وارد ومحتمل، لتعلن بدورها سقوط نظام القطب الواحد وصعودها كقوة عالمية منافسة وموازية للقطب الغربي، خاصة بعد انتصارها في الحرب السورية وأمام إدراك كل من فرنسا وألمانيا بأنها لن تخرج مغلوبة من جل هذا الضغط والتصعيد وأن دعم الجيش الأوكراني سوف لن يصمد ولو طال أمده.

والدليل القريب لفترة دراستنا يكمن في أن استلام أوكرانيا للذخائر العنقودية من الولايات المتحدة الامريكية، وهو سلاح ذو خصائص تدميرية عالية ونوع خاص ومنفرد عن غيره من الأسلحة العالمية، بالإضافة إلى سماح الرئيس بايدن بتسليمها لأول مرة قذائف اليورانيوم المنضب القادر على اختراق الدروع التي سوف يتم تحميلها على" دبابات إبرامز" الأمريكية (ماهي القنابل العنقودية؟ ولماذا ترسلها الولايات المتحدة إلى أوكرانيا؟، 2023)، وشعورها_أوكرانيا_ أنها تقدمت خطوة على الجيش الروسي لم يستمر طويلا حتى أعلن فلاديمير بوتين الرادع له عبر ادخال" صواريخ سارمات" الباليستية الاستراتيجية الجديدة لاستخدامها في الحرب البطيئة والمستترفة، وهي واحدة من أكبر المنظومات الصاروخية الهجومية تطورا في العالم ("سارمات"..، 2023). وقامت موسكو بالتهديد بها لإجبار الولايات المتحدة الامريكية وحلفاءها عن وقف تقديم الدعم العسكري لأوكرانيا وتصعيدهم المستمر للصراع.

و كسيناريو متوقع لمستقبل روسيا جغرافيا نرجح فيه إمكانية تقسيم دولة أوكرانيا إلى شطرين داعمين بذلك فكرة الكسندر دوغين سالفة الذكر خاصة أمام الانقسام الذي فرضته عليها الطبيعة عبر نهر "دنيبر" ليضحى شرق أوكرانيا مُدمج مع روسيا الاتحادية وغرب أوكرانيا كدولة تابعة وموالية للغرب.

على الصعيد الاجتماعي قد تعاني روسيا مرة أخرى من الفراغ السكاني خاصة أمام نزوح العديد منهم نحو البلدان المجاورة إثر رفضهم للحرب والتعبئة العسكرية الإجبارية التي أقرها الرئيس بوتين. أما على الصعيد الأمني فرغم محاولة روسيا لملمة جوارها واحاطة نفسها بحصن متين؛ إلا أن مخلّفات الحرب سوف تترك لا محل بؤر للمرتزقة والجماعات الإرهابية كي تواصل الضغط على الكرملين، ناهيك عن ارتفاع صوت المعارضة السياسية التي تدعو إلى اسقاط نظام حكم الرئيس بوتين.

وفي سيناريو آخر هناك بعض المحللين الاستراتيجيين يؤكون على أن روسيا انتهت أمنيا جيوبوليتيكيا خاصة أن أوكرانيا كدولة متوسطة القوة أمام ما تمتلك روسيا من ذخائر وقدرات عسكرية لدى القوات الجوية والبحرية والبرية، مع ذلك لم تخشى كييف الدخول في صراع حدودي مباشر فوق الخط الفاصل بينهما، ولا تأبى التوقف حتى تضع روسيا أوزار الحرب وتعلن خسارتها. وما زاد الأمر سوءا وتطويقا لروسيا جغرافيا هو دخول فنلندا والسويد إلى

الحلف الأطلسي بناءا على رغبة ملحة كان دافعها الأكبر هو تنامي المخاوف الجيوسياسية والقومية إثر ما تعيشها أوكرانيا حاليا وتخوفا على مستقبلها الجيوبوليتيكي ومصيرها الذي فرضته عليها جغرافيتها، رغم التهديدات العلنية والمتتالية من كبار السسياسيين الروسيين.

يمكننا القول أن روسيا تخوض حرب استنزاف مفتوحة تكاد تكون الأغرب عن سابقتها كونها لا تلامس أي حل سلمي أو تنازل لحد الآن من الطرفين، فكما جرت العادة هناك حرب قائمة وطاولة دبلوماسية دائرة، غير أن هذا الصراع لم يتقابل فيه الطرفان و لم يتفاوضا لحد اليوم(فترة الدراسة)، إلا من خلال التدخلات المحتشمة من بعض الدول تندد بالحرب بصفة عامة وتدعو للهدوء والاستقرار، وهذا ما يمكن أن يؤرق روسيا على المدى القريب، فهذه الحرب التقليدية سوف تُفضي إلى إنهاء مخزون الأسلحة القديمة والتقليدية لروسيا ما يجعلها تضطر لاستخدام الأسلحة النووية الحديثة التي من شأنها أن تعرضها للعقوبات أكثر وتفتح الباب على مصرعيه للدخول في حرب عالمية ثالثة وتقرب الناتو منها أكثر .

الخاتمة

بناءا على معطيات الدراسة يمكننا أن نقر بأن روسيا الاتحادية بقيادة الرئيس فلاديمير بوتين قد أعادت توظيف المقاربة الجيوبوليتيكية وأعطتها مجالا أوسعا في سياستها العامة والخارجية، وهو ما يتضح من خلال سعيها بالحفاظ على موطئ قدم في البحر الأسود وتأمين محيطها الإقليمي واستمالة أوكرانيا ومنعها من التوجه غربا. ورغم إبانة أوكرانيا عن رغبتها المطلقة بنيل العضوية الأوروبية والأطلسية؛ إلا أن روسيا لم تمرر هذا القرار ولن تسمح بتجسيده ولو تطلب ذلك الاستمرار في استعمال القوة العسكرية.

إن إدراك التحالف الغربي بأهمية أوكرانيا جيوسياسيا وجيو–أمنيا بالنسبة للوحدة القرارية الروسية جعل منها ورقة ضغط ثقيلة ضدها، يسعون من خلالها إلى تحطيم جموح موسكو وجرها نحو الخسائر المادية والبشرية والعسكرية والاقتصادية، ذلك من خلال دعمهم المستمر والمتزايد للكييف بالأسلحة والتدريبات العسكرية والطائرات الحربية ودفعها نحو التصعيد في موقفها. وبكل موضوعية نرى أن الغرب قد نجح في تشتيت بيت الكرملين وجر روسيا نحو مستنقع الحرب من أجل تقزيم مكانتها العالمية وتشويه صورتها داخليا وإقليميا ودوليا،

وتصنيفها في خانة الدول العدوانية– الامبريالية التي تسعى للتوسع خارج حـــدودها متعديـــة بذلك على سيادة الدول المجاورة لها، القاتلة للمدنيين الأوكرانيين وغير محترمة لقواعد القانون الدولي. فلا بد لنا أن ندرك بأن قضية انضمام أوكرانيا للتحالف الغربي سوف يطول أمـــدها بقدر طول وعمق مصالح الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي بالمنطقـــة. فلـــو أرادت لضمتها وضمنتها منذ عام 2014. غير أن قبول هذا الاقتراح لا يخدمها بقدر ما يخدمها عدمه، فإذا كانت أوكرانيا تساوي أمن روسيا شرقا، فإنها في تصورات الغرب عبارة عن زر الضغط الصينية تنقره متى ترغب وحينما تشاء لتصنع مسرحية براغماتية على الساحة الدولية.

قائمة المراجع

المؤلفات باللغة العربية:

أ– الكتب

1. أبوزيد، أحمد محمد، (2014). الازمة الاوكرانية والحرب الابردة الجديدة ..في فهم الواقع الدولي. معهد العربية للدراسات.
2. بريجنسكي، زبيغنو، (1999). رقعة الشطرنج الكبرى:السيطرة الامريكية وما يترتب عليها جيوستراتيجيا. مركز الدراسات العربية.
3. دوغين، الكسندر، (2004). أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
4. محفوظ، رسول ، (2018). الأمن الوطني الروسي بين الفرص والقيود. عمان: مركز الكتاب الاكاديمي

المقالات

1. البصراتي، محمد نور (2022). استراتيجية العقوبات الدولية وانعكاساتها على سياسات الدول(العراق– ايران–روسيا) نموذجا. مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 23(03)، الصفحات 160–182.
2. طالب، حفيظة، (2022). مكانة اوكرانيا في الفكر الجيوبوليتيكي الروسي1999–2022. السياسة العالمية، 06(02)، الصفحات77–91
3. كليبنيكوف، أليكسي، (2014). توسع جيوبوليتيكي: أسس العقيدة العسكرية لسلاح البحرية الروسي. اتجاهات الاحداث(4)، صفحة 71.
4. مجدان، محمد، (2015). سياسة روسيا الخارجية اليوم–البحث عن دور عالمي مؤثر. العربية للعلوم السياسية(47) الصفحات 40–58
5. مقراوي، محمد الامين، (2015). وصايا بطرس الاكبر ودورها في بقاء روسيا. البيان(342)، صفحة 15.
6. هاني ، منال، (2022). الحرب الروسية على اوكرانيا واثرها على الاقتصاد العالمي: الواقع والدروس المستفادة. مجلة معهد العلوم الاقتصادية، 25(02)، الصفحات 21–38
7. هشان، أحمد، (2022). سيناريوهات مختلفة للأزمة مع روسيا...وجهات نظر أوكرانية. مجلة الشؤون العربية الأوراسية(02)، صفحة 05.

ب– باللغة الإنجليزية:

Sophi clairet ،alescis boutzmann.(2011). geopolitique de la russie. diplomatie(5) ،P.11

المواقع الاكترونية

1. *حدود لوغانسك ودونيتسك وخيرسون وزابارو جيا مع الدول الاجنبية هي حدود روسية.* (03 10, 2022). تم الاسترداد من www.sputnik- arabic.com http://
2. *اكبر دول منتجة للغاز الطبيعي في العالم* . (15 08, 2022). تم الاسترداد من طاقة:
3. http://www.visual capitalist.com/tag/gas
4. *الحرب بين أوكرانيا وروسيا..ملخص تاريخي يوضح كيف تفاقمت الأزمة.* (05 03, 2022). تم الاسترداد من موقع الحدث: http://www.alhadath.ps/article/152137
5. *احتياطيات روسيا من النفط في القطب الشمالي تصل الى 7.3 مليار طن.* (22 02, 2023). تم الاسترداد من العربية: gas http://www.alarabiya.net/aswaq/oil-and
6. *أوكرانيا تنفي ضلوعها في تفجير خطي" نورد ستريم".* (08 03, 2023). تم الاسترداد من http://www.france24.com/ar
7. lopez Todd .(03 05, 2021) *defender europe 21-exercises multinational interoperability*. تم الاسترداد من: readiness transparency: http:/defender.gov/news.stories/article/2593494
8. لقاء، مكي. (27 02, 2022). *غزو أوكرانيا صراع دولي على النفوذ والمستقبل.* تم الاسترداد من مركز الجزيرة: http://www.aldjazeera.net/ar/article/5301
9. متى، سعيد. (13 03, 2023). *80 مليار برميل،ترتيب الدول حسب احتياطي النفط.* تم الاسترداد من موقع المرسال: http://WWW.almirsal.com/post/896213
10. *الأوكراني ..جذور الصراع وتداعيات الأزمة* Récupéré sur .(22 02 ,2022) .انسان للدراسات الاعلامية https://www.insan-center.org/
11. *ماهي القنابل العنقودية؟ ولماذا ترسلها الولايات المتحدة إلى أوكرانيا؟* (08 07, 2023). تم الاسترداد من العربي نيوز - بي بي سي: https://www.bbc.com/arabic/articles/c51dyn87y95o
12. صاروخ روسيا النووي الجديد "سارمات".. (02 09, 2023). تم الاسترداد من https://www.aletihad.ae/news